انقراض العالم

ترتعد فرائص كثيرين في هذه الايام وتَني ضربات قلوبهم توقعاً لليوم العظيم الذي هو آخر ايام الانسان على الارض بل آخر ايام الارض في الوجود وقد ايقن كل حيٍّ بحلول اجلهِ واصبحت حياة البشر اياماً معدودات وستُعَدّ بعد حينٍ بالساعات ثم تُعَدّ بالدقائق والثواني ولم يبقَ الا ان يودّع كل حبيبٍ حبيبهُ ويقضي كل انسانٍ آخر اوطارهِ من الدنيا فعن قليلٍ ستقول الدنيا على الكون السلام

يوم تشكل الشمس احدى بناتها بل تُفجَع باجملهنَّ صورةً واعدلهنَّ خلقاً وانضرهنَّ شباباً وابهاهنَّ رونقاً ويوم ترتعد السيَّارات في افلاكهنَّ فَرَقاً وقد شهدنَ ما نزل باحدى اخواتهنَّ فلو استطعنَ وقفنَ عن مسيرهنَّ حيرةً ودَهَشاً بل شردنَ في عُرض الفضآء شرود الغزال من وجه الصيّاد

ذلك هو النبأ المشؤوم بل نذير القدر المحتوم الذي انتشر منذ اشهرٍ في صحيفةٍ هي احقّ ان تسمى صحيفة القضآء وصكّ الحكم المبرَم الذي حُكم فيهِ على الانسان بل على الارض وما اشتملت عليهِ من برٍّ وبحر وممالك ومدن وحيوان ونبات فتصبح الارض قفراً مغموراً بجثث الاموات طافيةً على وجه البحار او تعود سديماً مشتعلاً يرسل اشعتهُ الى اخواتها من السيارة ثم يستحيل شمساً اخرى تضيء في سمآئهنَّ فيصبحنَ في خلقٍ جديد

ورد ذلك النبأ في تقويمٍ سنويّ ينشرهُ المسيو فالب الالماني وهو فيما قيل رجلٌ ورّاق يتكسَّب بطبع الكتب وبيعها وقد رأى اصحاب المعامل

وارباب التجارات يتفننون في طرق الاعلان لكسب الشهرة فسوّلت لهُ نفسهُ الخسيسة ان ينعق بهذا السوء العاجل والويل المستطير حتى لا تبقى في الارض زاويةٌ الا تردد صدى قولهِ ويُتناقل فيها ذكرهُ فزعم ان المذنب المعروف بمذنب تمبل المنتظر ظهورهُ في هذه السنة سيصدم الارض فيمحقها من عالم الوجود وذلك في الثالث عشر من شهر نوفمبر القابل بين الساعة الثانية والثالثة بعد منتصف الليل . فيا لهُ من نبإٍ رقصت لهُ القلوب في الصدور ويا لها من شهرةٍ طارت في آفاق الارض على اجنحة الرعب وعن قليلٍ ستعود الى مرسلها على اجنحة السخط والانتقام

وقد تقدم لنا الالماع الى هذا النبأ في حينهِ وأبنّا غاية ما يمكن ان يُتوقع من مثل هذا الحادث لو صحّ الانبآء بهِ على ما اوضحنا من بُعد احتمالهِ وانهُ ان قُدّر حدوثهُ كان اكثر ما فيهِ امناً وسلاماً قياساً على ما ظُنّ من وقوع مثلهِ من عهدٍ غير بعيد . ولا بأس ان نعزز ما ذكرناهُ هناك بايراد فصلٍ مختصر في الكلام على ماهية المذنبات وطبيعتها وافلاكها وان كان الكلام فيها يستغرق مجلداً برأسهِ على انا سنذكر فيها آخر ما انتهت اليهِ مباحث العلمآء ثم نعقبهُ بما يمكن ان يكون من صحة هذا النبأ على أنّا قلما رأينا من العلمآء من اهتمّ بهِ او تصدّى لتفنيدهِ الا تسكيناً لما ثار على اثرهِ من خواطر العامة

واول ما نقول ان حقيقة المذنبات لا يزال اكثرها الى الآن مجهولاً لغرابة احوالها وبعدها عن مشابهة الاجرام المؤلف منها العالم الشمسي وقد تباينت اقوال اهل البحث في ماهيتها واصلها فمن قائلٍ انها بقايا من اطراف

السديم الاول الذي تكونت منهُ العوالم الشمسية ومن قائل انها كائناتٌ من فضلات الخلق النجمي سابحةٌ بين العوالم المنبثّة في الفضآء تتجاذبها الاجرام التي تمرّ بها فمنها ما تحوّل طريقها ومنها ما تجذبها اليها فتصير من توابعها كما هو الحال في المذنبات التابعة للعالم الشمسي واجرامها في غاية الخفة لانهُ لم يُرَ لها قطّ تأثيرٌ في حركات السيارات التي تمرّ بقربها وقد عبرت عدةٌ منها بالقرب من المشتري حتى ان مذنّب لكسال كاد يخالط اقمارهُ ولم يظهر في حركة هذه الاقمار على صغر اجرامها ادنى اضطراب . وفضلاً عن ذلك فقد دلت المراقبة على ان اذناب هذه النجوم ووفراتها [1] شفافةٌ تمام الشفوف حتى انهُ كثيراً ما كان يُرَى ما وراءها من الكواكب الصغرى حتى ذوات القدر الحادي عشر وقد رُؤي سنة ١٨٢٨ نجمٌ من القدر العشرين من خلال وفرة احد المذنبات وكان قطر المادّة السديمية التي اخترقها ضوء هذا النجم لا اقل من ثلاث مئة الف ميل . وقد قدّر بابيناي بناءً على هذا الشفوف المتناهي ان كثافة هـذا القسم من راس المذنب ينبغي ان تكون اقل من واحد من ٤٥ مليون مليار من كثافة الهوآء

الا ان هذا انما يصدق على الوفرة والذنب دون النواة التي هي انور جدًّا منهما على انهُ قد روقب غير مرةٍ عبور نجمٍ من القدر التاسع من وراء النواة وبقآء النجم منظوراً ومن هنا يؤخذ ان نواة المذنب مؤلفةٌ من حصًى كونيّة شديدة التخلخل ان لم يكن بعضها ذرّاتٍ ملتهبة بدليل ما تحقق لها من النور الذاتي على ما ظهر بالتحليل الطيفي . على انهم تبينوا اخيراً ان الشهب

(١) الوفرة شعر الرأس والمراد بها هنا ما يحيط برؤوس هذه الانجم من المادة المنيرة

والمذنبات ترجع الى اصلٍ واحد لما وجدوا بينها من الاتفاق في مواقيت ظهورها وسرعتها وميل افلاكها وان الشهب ليست الا مذنباتٍ استحالت نوَياتها الى حلقاتٍ مستطيلة من الحصى السماوية. وقد طبَّقوا اربع حلقاتٍ من هذه الشهب على مذنباتٍ معروفة المُدَد وهي شهب ١٠ اوغسطس وشهب ١٣ نوڤمبر وهي التي يُنتظَر ظهورها في هذه السنة في الموعد الذي ذكرهُ فالب وشهب ٢٠ ابريل وشهب اوائل دسمبر. وعليهِ فغالب الظن ان نويات المذنبات مؤلفة من مثل هذه الحصى المتجمعة وعلى كل حالٍ فهي من الخفة وقلة الجرم بحيث لو صدمت الارض لا يُتوقع ان يحدث عنها تأثيرٌ في كيان الارض او تبديلٌ في طبيعة جوّها وانما جلّ ما هناك ان تؤثر في محل الصدمة ليس غير. الا ان هذه المصادمة من ابعد ما يُتوقع حتى ان اراغو الفلكي الشهير قدَّر ان مثل هذا الفرض لا يكون الا واحداً من ٢٨٠ مليون فرض

بقي أن الإنباء بالحوادث الفلكية لا يصدق الا فيما اطّرد منها على مواقيت محدودة وحركاتٍ قياسية بحيث تتكرر تلك الحوادث في آجالٍ معلومة وقد رأينا العلماء يحسبون مواقيت الكسوف والخسوف قبل مئاتٍ من السنين فلا يختلّ حسابهم ثانيةً من الزمن بل رأيناهم يحسبون من هنا خسوف اقمار المشتري وقرانات السيارة وما يكون من احتجاب الثوابت بها على دقة ما هناك من الحسابات وجميعها تصدق بلا تخلف وذلك لان هذه الاجرام كلها مضبوطة السير معروفة المقادير والقوى الجاذبة بحيث يمكن ان تُضبط جميع حركاتها بالتدقيق. وبخلاف ذلك حسابهم في رجوع المذنبات

فانهُ لايكون الاحساباً تقريبياً لان حركاتها غير مضبوطة وافلاكها غير قياسية واكثرها يتجاوز العالم الشمسي فيتوغل بين الثوابت الى مسافاتٍ قد تبلغ مئات آلافٍ من السنين وطريقها يختلف بين اهليلجي وشلجمي وهذلولي[1] الا انها لا تستمرّ على طريقٍ مطّرد لانها لخفتها ونزارة مادتها تتجاذبها الاجرام السماوية وكثيراً ما تحوّل وجهتها وتغير سرعتها ومواعيدها واشكال افلاكها. بل اشكال هذه النجوم نفسها ومقاديرها ومبلغ نورها قد تتغير حتى في المظهر الواحد وربما وقف بعضها في اثنآء مسيرهِ ثم تقدم اورجع القهقرى الى غير ذلك مما لا يقع تحت ضابط. ومع ان بعضها من المذنبات المعروفة بالدورية اي التي تتم دوراتها في مددٍ قياسية فليس ذلك فيها الا قياساً تقريبياً لانهُ لا يمكن ان تُضبط مواقيتها ضبطاً مدققاً بسبب ما ذكرناهُ من خفتها وتأثير الاجرام السماوية على حركاتها. وجملة الامر ان الانبآء في امر هذه النجوم لا يكاد يصدق واصدق انبآءٍ وقع لهم وهو انبآء ڤيلرسو برجوع مذنَّب أَرَّست سنة ١٨٥٧ جآء متقدماً على موعد ظهور النجم باثنتي عشرة ساعة ومع وقوع هذا الخلل فيهِ عُدّ لهُ هذا الانبآء فوزاً عظيماً

على ان ما نحن فيهِ ليس باول انبآءٍ من هذا القبيل استطار قلوب الناس خوفاً وجزعاً فقد رُوي عدة حوادث من مثلهِ كان لها من الروع ولا سيما عند العامة ما لا يقاس بهِ الروع الحالي. منها انهُ في سنة ١٧٧٣ نُقل عن لالَند الفلكي المشهور ان في عزمهِ ان يتلو في مجمع العلم الفرنسوي

(١) الهليلجي ما كان دائرة الى الطول والشلجمي ما ذهب طرفا المنحني فيهِ في جهتين متآزيتين بحيث لايلتقيان والهذلولي ما انفرجا فيه فذهب كل واحد منهما في جهة

مذكرةً عنوانها « بحثٌ في المذنبات التي يمكن ان تدنو من الارض » فتناقل العامة ان الفلكي المشار اليهِ انبأ بمذنبٍ سيصدم الارض في ٢٠ او ٢١ من شهر مايو من السنة المذكورة مع ان هـذا لم يكن في المذكرة ولا المذكرة تليت ايضاً وانتشر من ثم الهلع في القلوب وعم الخوف اكثر طبقات الناس حتى اضطرّ الفلكي المذكور ان ينشر اعلاناً في احدى جرائد باريز المشهورة بتاريخ ٧ مايو كذّب فيهِ هذا الارجاف وتبرأ من معرفة الوقت الذي يمكن ان يقع فيهِ مثل هذا الحادث . الا ان هذا الاعلان لم يزد الناس الا خوفاً وقلقاً لانهم عدّوهُ ضرباً من المغالطة واتخذوهُ دليلاً على ان في تلك المذكرة انباءً مخيفة سترها عنهم بهذا التمويه

وقد كتب ڤولتير رسالةً في هذا الحادث بتاريخ ١٧ مايو جرى فيها على عادتهِ من التهكم فقال ما تعريبهُ

« ان اناساً من الباريزيين ليسوا من الفلاسفة ولن يكونوا منهم لما باغتهم من ضيق فسحة الاجل كتبوا اليَّ ان انقراض العالم قد دنا وانهُ سيكون بلا ريب في العشرين من شهر مايو الذي نحن فيهِ فانهُ يُتوقع في ذلك اليوم انقضاض مذنب على كرتنا الصغيرة يردها هباءً منثوراً وذلك بناءً على انباءٍ من المجمع العلمي لم يكن قطّ

» لا جرم انه لا احق من الثقة بصحة هذا النبأ لان جاك برنولي انبأ من قبل ان مذنّب سنة ١٦٨٠ المشهور[1] سيعود بانفجار مخيف في السابع

---

(١) جاك برنولي احد علماء الفلك من اهل سويسرا ولهذا المذنب الذي يشير اليه فولتير خطب طويل في التاريخ فتقدّر انهُ هو الذي ظهر سنة ٤٣ ق م فانبأ بموت قيصر

عشر من شهر مايو سنة ١٧١٩ وقد حقق لنا ان وفرة هذا المذنب ستكون مسالمةً لنا ولكن ذنبهُ سيكون آيةً لا ريب فيها على غضب السمآء . فان يكن جالك برنولي قد اخطأ في حسابهِ فان خطأهُ لا يزيد على اربع وخمسين سنةً وثلاثة ايام ومثل هذا الخطأ الفاحش لا يُعَدّ شيئاً في جنب العصور المتطاولة وعليهِ فلا شيء اقرب الى الثقة من توقع انقضآء العالم في العشرين من شهر مايو من سنة ١٧٧٣ الحالية او من أيّ سنةٍ اخرى من السنين الآتية

» على انهُ ان اتفق ان مذنباً يصادف ارضنا في طريقهِ الشلجمي فماذا يكون اذ ذاك . فانهُ اما ان يكون هذا المذنب معادلاً للارض في القوّة او اعظم منها او دونها فان كان معادلاً لها فانّا نضرُّهُ بمقدار ما يضرُّنا لان ردّ الفعل يكون مكافئاً للفعل وان كان اعظم فانهُ يجرُّنا ورآءهُ او اصغر جررناهُ نحن

» لكن ليطمئنّ اهل باريز ان مديتهم لا تقفر منهم في ٢٠ مايو ولكنهم سينشدون الاغاني ويمثّلون رواية المذنّب وانقراض العالم في الاوپرا الهزلية » اه

وقد وقع مثل ذلك في القرن الحالي فأُرجِف بأنهُ في ١٨ يوليو من سنة ١٨١٦ ستلتقي الارض باحد المذنبات فهلع الناس لهذا النبأ واقاموا يترقبون ذلك اليوم بقلوب واجفة . وقد نشر هفمان احد كتّاب جريدة الديبا لذلك

وظهر قبل ذلك باثني عشر قرناً فجلب على الارض الطوفان الموسوي ثم ظهر سنة ٦١٩ ق م فكان سبباً في خراب نينوى . وانبأ جاك برنولي انهُ سيمر بالارض في التاريخ المذكور في الرسالة فيحرقها بذنبه ونشر هويستن احد علمآء الانكليز سنة ١٦٩٦ رسالة زعم فيها انهُ سيحدث في الارض طوفاناً نارياً في تفصيل غريب لا محل لذكره هنا

العهد فصلاً اظهر فيهِ بطلان هذا الزعم في كلام طويل لا يسعنا نقلهُ في هذا الموضع . ثم تكرَّر ذلك سنة ١٨٣٢ بما انبأ بهِ دَموازو من عود مذنب بيالا في ٢٩ اكتوبر من السنة المذكورة قبل منتصف الليل وان مرورهُ في العقدة سيكون على مسافة ثلاثين الف كيلومتر من الارض . ونشر اراغو اذ ذاك فصلاً قرَّر فيهِ انهُ مع توقع عبور هذا المذنب في فلك الارض فان الارض لا تصل الى النقطة التي يمرُّ فيها الاَّ في صباح الثلاثين من نوفمبر اي بعد شهر من الموعد الذي عينهُ دموازو وحينئذٍ يكون قد صار منها على بعد ٨٠٠٠٠٠٠ كيلومتر . ثم انهُ في سنة ١٨٥٧ انبأ بعض علمآء الالمان بان المذنب المعروف بمذنب شرلكان سيقطع فلك الارض في ١٣ يونيو من تلك السنة بناءً على ما يستفاد من زيج لانَد فتهلك الارض بالنار لكن مرَّت تلك السنة كما مرَّ غيرها من قبلها ولم يحدث شيء مما انبأوا بهِ

غاية ما يقال ان ما يُنتظر حدوثهُ في الموعد الذي ذكرهُ فالب لا يتعدى ما اشرنا اليهِ من تساقط الشهب وهو امر معروف في مثل هذا الأوان فكل ما يمكن ان نتوقعهُ في تلك الليلة هو كما قال المسيو وليم فُرْسْتر قيّم مرصد برلين ان تمرّ الارض بحلقةٍ من الشهب المعروفة بالاسديّة[1] فنشاهد ابهج منظرٍ في العمر وهو المطر العرمرم الذي سيتساقط من تلك الشهب

(١) سميت بذلك لظهورها من حيال برج الاسد وهي تظهر في كل ٣٣ سنة وقد كان ظهورها الاخير سنة ١٨٦٦